لقيت منه رعاية خاصة ، لا باعتبارها شواهد لغوية وإنما باعتبارها قيماً دَلالية تهيئ لقارئها نوعًا من المتعة الفنية ، فهو يعرض لشعر أبي علي البصير واسمه الفضل بن جعفر ، ويقول عنه : « وإن لم يكن بحُجَّة ولكنه أجاد فذكَرْنا شعره هذا لجودته لا للاحتجاج به .» (١)

ويعلِّق على بيت الفرزدق :

والشَّيبُ يَنْهَضُ في السَّوادِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصيحُ بِجانِبَيْهِ نهارُ

بقوله : « فهذا أوضح معنًى ، وأعرب لفظًا ، وأقرب مأخذًا ، وليس لقِدَم العهد يُفضَّل القائل ، ولا لحدثان عهد يُهتضَم المصيب ، ولكن يُعطى كلٌّ ما يستحق . أ لا ترى كيف يفضَّل قول عمارة على قرب عهده :

تَبَحَّثْتُمُ سُخْطي فَغَيَّرَ بَحْثُكُم نُخيلة نَفْسٍ كانَ نصحًا ضميرُها
وَلَنْ يَلْبَثَ التَّخْشينُ نَفْسًا كريمةً عَريكَتُها أن يَسْتَمِرَّ مَريرُها
وَما النَّفْسُ إلا نُطْفَةٌ بِقَرارِها إذا لَمْ تُكَدَّرْ كانَ صَفْوًا غَديرُها ؟

فهذا كلام واضح وقوله عذب .» (٢)

ويضيف المبرد – إلى جانب العناية بالمعنى الشريف – الاهتمام ببعض الموضوعات البلاغية التي توفَّرت في ضروب القول وفنونه عند العرب ، كالمجاز والكناية والتشبيه والإيجاز والإطناب ، جامعًا بين الشَّرح النظريِّ والتطبيق . ويثير انتباهنا اهتمامُهُ المبكِّر بمحاولة التمييز بين فني الشعر والنثر في رسالته « البلاغة » ، حيث اعتمد في هذه المحاوَلَة على طبيعة البناء الفني

(١) المبرد : الكامل ، ج ١ ، ص ٦ .
(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨ ، ١٩ .